المحاضرة السادسة: مدسة فرانكفورت والنقد الثقافي الجزء الثاني:

1-3- هيربيرت ماركيوز:

هو فيلسوف ومفكر ألماني أميركي، عُرِفَ بتنظيره لليسار الراديكاليّ وحركات اليسار الجديد ونقده الحاد للأنظمة القائمة. وُلِدَ ماركوز في برلين لعائلةٍ يهوديّةٍ، وخدم في الجيش الألماني خلال الحرب العالميّة الأولى، ودرس في جامعتها، وحصل على الدكتوراه من جامعة فرايبورغ عام 1922، وعمل بعدها حتى عام 1928 في بيع الكتب، ثم انضم إلى مساعدة مارتن هايدغر في دراساته، وكان منتسبًا لمعهد الدراسات المجتمعية في فَرَانْكِفُورْتْ؛ حيث كان يشكّل جماعةً فكريّةً ذات توجّهٍ ماركسيٍّ، وبعد استلام الحزب الاشتراكيّ القوميّ (الحزب النازيّ) السلطة قام الحزب بإغلاق المعهد وسافر ماركيوز بعدها إلى سويسرا لمدّة عامٍ، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأميركية وانضمّ إلى معهد الدراسات المجتمعية هناك في جامعة كولومبيا عام 1934، وعمل خلال الحرب العالمية الثانية في أجهزة الاستخبارات الحربيّة الأميركية(مكتب المعلومات الحربيّة ومكتب الخدمات الاستراتيجيّة)؛ حيث عمل في الدعاية المضادّة للنازيّة سعيًا منه إلى تفكيكها، وحلّ أواصرها، وفي الخمسينيات شرع في تدريس الفلسفة والسياسة بشكلٍ متتابعٍ ما بين جامعات كولومبيا وهارفارد وبراندیس وكاليفورنيا. وعلى الرَّغْمِ من أنّ ماركيوز قد غادر ألمانيا؛ إلاّ أنّه بقي عضوًا رئيسًا في جامعة فَرَانْكِفُورْتْ الثقافية مع ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو، وكان يمثّل الجناح اليساريّ فيها.

وقد ظهر جلياً تأثير ماركيوز على القيادات الطلابيّة؛ حيث عمّت الاحتجاجات الطلابيّة جامعات أميركا وأوروبا في أواخر عقد الستينيات، وقد ركّز ماركيوز في كتاباته على نقد الرأسماليّة وتجديد الأطروحات الماركسيّة؛ حيث كان يرى أنّ أهمّ تهديد للأنظمة القائمة سيأتي من الطلّب والأقليّات في المجتمع لا من طبقة العمّل التي تمّ تطويعها من خلال النمط الاستهلاكيّ، وتلبية احتياجاتها السطحيّة؛ كي تكون خاضعةً للأوضاع القائمة صامتةً

عمّا يدور من حولها من ظلمٍ وانتهاكاتٍ، كما صبّ ماركيوز جمّ تركيزه على البعد الفرديّ من خلال سيره على النسق الماركسي. وقد تُوُفِّي ماركوز عام 1979 على أثر سكتةٍ دماغيّةٍ أثناء زيارته لألمانيا وكان برفقته صديقه الحميم يورغان هابرماس أحد أهمّ المُنظّرين من الجيل الثاني لجامعة فَرَانْكِفُورْتْ، وقد ترك إرثًا فلسفيًّا وفكريًّا كبيرًا تمثَّل في مجموعةٍ من المقالات التي كان قد كتبها في الثلاثينيات من القرن الماضي، داعيًا فيها إلى نظريّةٍ اجتماعيةٍ جدليّةٍ مناقضةٍ للعلم المجتمعي الوضعيّ كما عند أوجست كونت، وشتال، وفون شتاين خلال النصف الأوّل من القرن التاسع عشر الميلادي؛ لأنّها كانت تماثل بين دراسة المجتمع ودراسة الطبيعة. وما يُلحظ على ماركوز أنّه بنى نظريّته الجدليّة على أفكار هيغل، وحوّل فكر ماركس إلى هيغليّة راديكاليّة؛ فحصر اهتمامه في نقد أصول الفلسفة الوضعيّة والعلم الاجتماعي، وظهر جليًّا عداؤه الشديد للهيمنة التقنيّة؛ حيث كان يعتبر العقل المنغلق سببًا رئيسًا في استلاب الإنسان، وتحويله إلى آلةٍ إنتاجيّةٍ لا تُسمن ولا تُغني من جوعٍ؛ ومن ثَمّ فقد اعترى ماركيوز –بوصفه من الشريحة العليا المثقّفة من الطبقة الوسطى– شعورٌ بغيضٌ بالإحباط وخيبة الأمل، وتشكّلت لدى ماركوز فلسفةٌ ذات نزعةٍ تشاؤميّةٍ تسبّب فيها اغتراب الإنسان في المجتمع الصناعي الحديث الذي تغلُب عليه التقنية؛ فيضيع فيه رغم أنفه باعتباره ذاتًا وكينونةً ووجودًا.

وقد أشار ماركيوز في كتابه: «الإنسان ذو البعد الواحد » إلى اختفاء الدّور التاريخي الفاعل للطبقتين البرجوازية والبروليتارية على حدٍّ سواء، كما أشار إلى أنّ هناك قوّة واحدةً خفيّة متحكّمة في مسار هاتين الطبقتين معًا متمثّلةً في العقلانيّة العلميّة التقنيّة، وليست هناك طبقة معارضة؛ فقد تمّ استيعاب الطبقة العاملة واسترضاؤها من خلال تحفيزاتٍ ماديّةٍ استهلاكيّةٍ، وترشيد عمليّة الإنتاج ذاتها، وقد أشعلت أفكار ماركيوز لهيب حركة الطلّب الأميركية في أواخر الستينيات بمعارضتها للنّظام، وكذا حركات طلابيّة أخرى في دول

أوروبيّة شتّى؛ بَيْد أنّ الحركات المجتمعية –في ذلك الوقت– كانت جميعًا واقعة تحت تأثير تحليلاتٍ متنوّعةٍ عن البنية الطبقيّة المتغيّرة.[1]

أما الجيل الثاني فسنركز فقط على يورغن هابرماس باعتبار أنه أبرز من مثل هذا الاتجاه وهو من يهمنا من بين من مثلوا هذا الاتجاه، وفيما يخص الجيل الثالث سنركز على أكسيل هونيت كونه أيضا من بين أبرز من يمثلون مدرسة فرانكفورت في الآونة الأخيرة

1-4- يورغن هابرماس:

ولد يورغن هابرماس في دسلدورف، شمال الراين في ألمانيا– ويستفاليا حاليا، عَمِل والده ايرنست هابرماس مديرًا تنفيذيًّا لغرفة الصناعة والتجارة، وقد وصفه هابرماس الابن بأنّه متعاطفٌ مع النازيةّ، ولقد تربَّى في أسرة بروتستانتية، ونال درجة الدكتوراه في الفلسفة من بون عامَ 1954 بأطروحته المطلق والتاريخ؛ حول التناقض في فكر شِلينغ، في 1956 درس الفلسفة وعلم الاجتماع على يد المنظّرين النقديين ماكس هوركهايمر وثيودور أدورنو في معهد البحث الاجتماعي/ مدرسة فرانكفورت، لكن بسبب خلافٍ بين الاثنين على أطروحته، بالإضافة إلى اعتقاده الشخصي أنّ مدرسة فرانكفورت كانت قد أَصبحت مشلولة بالشكوكيّة والازدراء السياسي للثقافة الحديثة. أنهى تأهيله في العلوم السياسية في جامعة ماربورغ بعد ذلك عاد هابرماس إلى كرسيّه في فرَانْكِفُورْتْ مديرًا لمعهد البحث الاجتماعي. منذ أن تقاعد من فرَانْكِفُورْتْ في العام 1993، واصل نشر أعماله ذات المواضيع واسعة

[1]– ينظر مقدمة هيربرت ماركيوز: الانسان ذو البعد الواحد، تر:جورج طرابشي، منشورات الآداب بيروت، ط2، 1988. وينظر: ثريا بن مسمية: مدرسة فرانكفورت–دراسة في نشأتها وتياراتها النقدية واضمحلالها–.

النّطاق. طرح خطابًا حول تأهيل الدّور العام للدين في السياق العلماني، بخصوص تطوّر الْفَصْل بين الكنيسة والدولة من الحياد إلى العلمانيّة الحادّة.[2]

1-5- اكسيل هونيت:

ولد أكسيل هونيت في 18 يوليو/ تموز1949 في إيسِّن وهو فيلسوف اجتماعي ألماني، أستاذ جامعي ومدير معهد الأبحاث الاجتماعية في جامعة جوته في فرانكفورت، ألمانيا، وله الكثير من الكتب والمقالات في حقول الفلسفة الاجتماعية والسياسية وعلم الاجتماع. درس هونيت الفلسفة، وعلم الاجتماع والأدب الألماني في الفترة ما بين عامي 1969، 1974 في جامعتي بون وبوخوم وعُد أستاذًا مساعدًا لعلم الاجتماع في جامعة برلين الحرّة عام حيث تابع دراسته وحصل على الدكتوراه في الفلسفة عام 1983عن أطروحة موضوعها فوكو والنظريّة النقديّة، وقد نُشِت لاحقًا في كتابٍ بعنوان نقد السّلطة) ، ثمّ عُد بعدها كأستاذٍ مساعدٍ في جامعة جوته في فرانكفورت؛ حيث قدّم أطروحة التأهيل للأستاذيّة عام 1990 تحت عنوان كفاح من أجل الاعتراف ودرّس في عدّة جامعات قبل أن يعود نهائيًّا عام 1996 إلى جامعة فرَانْكِفُورْتْ كأستاذٍ للفلسفة ومن ثم كمديرٍ لمعهد الأبحاث الاجتماعية، تلك الوظيفة التي شغلها يورجن هابرماس وتيودور أدورنو من قبله.

ويُركّز هونيت في أبحاثه على الفلسفة الاجتماعية؛ وتتمحور الكثير من أعماله حول نظريّة الاعتراف –بمعنى التقبّل، الإقرار بقيمةٍ ما وتقديرها– التي طوّرها في أطروحة التأهيل المذكورة سالفًا، كما أنّه اهتمّ بإشكاليّة التشيّؤ في المجتمعات المعاصرة؛ فحاول في كتابه التشيّؤ وقد ترجمه الاستاذ القدير كمال بومنير إعادة صياغة هذا المصطلح على ضوء نظريّة الاعتراف، ليُرجِع كلّ أشكال التشيّؤ إلى باثولوجيا الذاتيّة المشتركة، وليس لخصائص

---

[2]– ينظر: جيوفانا بورادوري: الفلسفة فيزمن الإرهاب حوارات مع يورغن هابرماس ومع ديريدا، تر: خلدون النبواني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط1، 2013، ص 13. و وينظر: ثريا بن مسمية: مدرسة فرانكفورت–دراسة في نشأتها وتياراتها النقدية واضمحلالها–.

بنيويّة في الأنظمة الاجتماعية كما نظّر كارل ماركس أو جورج لوكاتش، والموضوع الأثير لديه كما لدى هابرماس– هو إعادة بناء الأخلاق في العلاقات بين البشر؛ فهو يسعى مثلاً في كتابه باثولوجيا العقل إلى تحديث النظرية النقدية التي وضعتها فيما مضى مدرسة فرانكفورت وتطويرها باتجاهٍ أخلاقيّ الطابع. كما أنّه ينادي في بحثه الحقّ في الحرية بالأخلاق الديموقراطية.[3]

هؤلاء هم بعض أعلام النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت وأهم روادها بالإضافة إلى أن هؤلاء هم أهم من أخذ نقاد النقد الثقافي واقتفوا مقولاتهم التحليلية منها ولكن كيف استقى النقد الثقافي من مدرسة فرانكفورت مقولاته التحليلية.

03- العلاقة بين مدرسة فرانكفورت والنقد الثقافي:

يلخص آرثر ايزابرجرفي كتابه النقد الثقافي–تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية–، علاقة مدرسة فرانكفورت بالنقد الثقافي في النقاط التالية:

- اهتمام مدرسة فراكفورت بما يسمى بالبنية الفوقية، فلقد أكدوا على أن وسائل الإعلام الجماهيرية قد حالت دون أن يتخذ التاريخ مجراه الحتمي، وطبقا لمصطلح هؤلاء الماركسيين فإن وسائل الإعلام قد أفسدت عقول الجماهير. ولهذا انغمس البشر من الطبقات العاملة في ثقافة الاستهلاك وانغمسوا في المتع السطحية والمبتذلة التي تقدمها الثقافة الشعبية. ومن ثم فقد الاهتمام بهوية طبقتهم وبالحاجة إلى الثورة.
- تعتبر دراسات أدورنو ممهدة للنقد الثقافي أكثر من إنغماسها في فرانكفورت لان اهتمامات أدورنو في البداية لم تكن ضمن مدرسة فرانكفورت بل سعلى إلى تأسيس ما يسمى بالنقد الثقافي، وتعد مقاله صناعة الثقافة أبرز مقال ضمن هذا المجال.

---

[3]– ينظر أكسيل هونيت: التشيؤ–دراسة في نظرية الاعتراف–، تر: كمال بومنير، كنوز الحكمة، الجزائر، ط1، 2012 وينظر كذلك: ثريا بن مسمية: مدرسة فرانكفورت–دراسة في نشأتها وتياراتها النقدية واضمحلالها–.

- إن الهدف من صناعة الثقافة هو التلاعب بوعي الجماهير كي يبقوا على المؤسسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية
- تركيزها على الزيف الأيديولوجي المؤدي إلى السيطرة في الصناعة الثقافية فالمجتمع الرأسمالي يتخذ من الثقافة أساسا من أجل بقاءه وضمان سيطرته
- تركيزها على التحليل الثقافي خلق فرصة للنقد الثقافي من أجل التوغل في النصوص وتبيين الدور الذي تلعبه الثقافة في صناعة الايديولوجيا [4]

هذا تقريبا ما يمكن أن نستخلصه في الطريقة النى استفاد منها النقد الثقافي في الحصة القادمة سنتحدث عن مجال آخر وهو المرتكزات المعرفية والاسس التي ينهض عليها النقد الثقافي وسنبدأ من النظرية الكولونيالية ومابعد، وقد أجلنا الحديث عن مابعد الحداثة في عنصر مابعد الكولونيالية كي لا نعيد ما قلنا، لأن الحديث عن مابعد الكولونيالية يتوجب الحديث عن مابعد الحداثة أو مابعد البنيوية كونها تتشابك مع هذا التوجه المعرفي وتؤسس لمقارباتها في تحليل الخطاب الكولونيالي على ماقدمه فوكو وديريدا في تفكيك الخطابات

[4]– آرثر ايزابرجر: النقد الثقافي–تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية–، ص ص 85–86.